

يجيب عن هذا التساؤل كتاب أصدره الناقد الروسي الشهير ميخائيل باختين (١٨٩٥-١٩٧٥) ، إذ يقول في كتابه مسائل إيداع دوستيفسكي الذي صدر لأول مرة في عام ١٩٢٩ وصدرت الطبعة الرابعة في ١٩٧٩ يقول إن دوستيفسكي قدّم لنا شكلاً جديداً من الرواية، وهي الرواية ذات الأصوات المتعددة.

أي أننا نجد في هذه الرواية أفكاراً متصارعة فيما بينها، وتتصارع في عالم البطل الواحد، وعلى قدم المساواة ولا يتدخل الكاتب لصالح هذه الفكرة، أو تلك بل يعرضها كما هي، معتبراً أنّ الخير والشر موجودان في داخل النفس البشرية ومنذ أقدم العصور وأنّ المادة والروح، أو الجسد والروح، لا غنى لأحدهما عن الآخر وأن الصوت المادي، هو صوت الجسد الذي عبّر عنه الشيطان إذ قال للمسيح: حول الحجر إلى خبز وأجابه المسيح، الذي برأي دوستيفسكي يعبّر عن صوت الروح! ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. فتحويل الحجر إلى خبز ليس بالعمل السيء ولكن الإنسان يحتاج بالإضافة إلى احتياجاته الجسدية والمادية، إلى تلبية الحاجات الروحية.

وموقف دوستيفسكي في نهاية المطاف أقرب إلى الفكر الروحي منه إلى الفكر المادي.

ولكن ما هو موقف نجيب محفوظ؟ إنه من الناحية الفنية ينتمي إلى المدرسة الواقعية النقدية، مثل دوستيفسكي لكنني لا أظن أنّ رواياته أيضاً ذات أصوات متعددة لكنها بالتأكيد كما أوضحنا استفاد من إنجازات دوستيفسكي، إلا أنّه يبقى كاتباً عربياً أصيلاً وعظيماً استطاع أن يرقى بالرواية العربية إلى مستوى العالمية، وأن يحصل على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٨ وعلى جائزة الدولة التقديرية، وعلى جائزة الدول المطلة على البحر المتوسط، وموقفه من الاشتراكية يشبه موقف دوستيفسكي بأنه مع وضد في الوقت ذاته مع الإيجابيات وضد السلبيات.